الحدث

خليل حرب
Khalilharb66@gmail.com

باغتيال السيد نصرالله العدو يعمّم الخراب لبنان تحت نيران العدوان

لعل اكثر ما يختصر سلوك حكومة بنيامين نتنياهو قوله، بعد 11 شهرا من المواجهات مع لبنان، وحرب الابادة على غزة، "نحن لا ننتظر التهديد بل نسبقه". قَلَب نتنياهو تركيزه من الجنوب الى الشمال، امام اعين العالم، بلا رادع ولا حسيب، مفتتحا صفحة جديدة من الجرائم في حق لبنان واللبنانيين

بعد نحو عام من التعثر في غزة، وعدم تحقيق الاهداف الثلاثة المعلنة لهجومه على القطاع الفلسطيني، اي "تحرير" الاسرى؛ تدمير حماس – المقاومة، ومنع التهديد المستقبلي من غزة، بدأ نتنياهو يجر المنطقة الى هاوية اكثر خطورة بتوجيه انظاره الى الشمال، لعله يتمكن من تحقيق انجاز امني - عسكري يتيح له القدرة على البقاء سياسيا وسط مشهد سياسي - حزبي وحتى على مستوى الجمهور، يتربص بأطول رؤساء الحكومات الاسرائيلية حكما في تاريخ هذا الكيان.

عبارة "نحن لا ننتظر التهديد بل نسبقه" التي قالها نتنياهو مع بدء التصعيد الدموي ضد لبنان، هدفها كما هو واضح تسويق نفسه داخليا كأنه يقول للجمهور الاسرائيلي انه لم يفشل وهو قادر على المبادرة، ويمتلك زمام الامور ومدرك للتحديات والتهديدات ولهذا استبقها. لكن العبارة تحمل مفارقات ساخرة، ذلك انه بحسب منطقه، ظل يرى هذه "التهديدات" من الجهة اللبنانية طوال نحو عام، لكنه عجز عن مواجهتها او احباطها. فلماذا الان؟

في منتصف ايلول الماضي، قبل بدء العدوان الموسع على لبنان، اضاف مجلس الوزراء الامني المصغر في تل ابيب هدفا رابعا على "حرب غزة" لتشمل الجبهة اللبنانية لتمكين المستوطنين من العودة الى الشمال، من خلال "تغيير جذري" للوضع على الحدود مع لبنان.

في 17 الشهر نفسه وقعت تفجيرات "البيجر"، ثم في اليوم التالي وقعت تفجيرات اجهزة "الووكي توكي" اللاسلكية، ما اوقع نحو 37 شهيدا ونحو 3500 جريح. ثم في 20 ايلول نفذت اسرائيل عدوانا جديدا على الضاحية الجنوبية لبيروت مستهدفة اجتماعا يضم كبار قادة "قوة الرضوان" الخاصة، ما اوقع المزيد من الشهداء من العناصر العسكرية والمدنية.

لكن العدوان على لبنان اتخذ بعدا تصاعديا اكثر خطورة بعدما شن سلاح الجو الاسرائيلي على مجموعة من المباني السكنية في منطقة حارة حريك في قلب الضاحية الجنوبية عصر يوم 27 ايلول ليغتال الامين العام للحزب السيد حسن نصرالله وعددا آخر من قادة الحزب.

لم تكن هذه جريمة عادية، واستخدمت اسرائيل خلالها 85 قنبلة خارقة للتحصينات وزنها 1000 كلغ، بحسب اعلان الجيش الاسرائيلي، وهي للتذكير مماثلة لتلك التي سلمتها الولايات المتحدة له قبل نحو شهرين. وبحسب صحيفة

"يديعوت احرونوت"، فقد تم القاء 80 طنا من القنابل على الحي.

بعد جريمة كهذه كان التقدير هو ان اسرائيل ستتراجع قليلا لجهة مستوى العدوان، لكنها في الليلة ذاتها، وجهت انذارا مباشرا باسماء بنايات محددة في الضاحية الجنوبية لاخلائها خلال ساعتين ما اجبر الناس على النزوح من تلك الاحياء وقصفتها قبل انقضاء الانذار الزمني

"مواقف اسرائيلية توعدت لبنان بغزو بري الى جانب العدوان الجوي"

متذرعة تماما مثلما فعلت في غزة مرارا بانها تحتوي على اسلحة.

كان من الواضح ان اسرائيل بدأت تطبيق البند الرابع ضمن خطتها المستحدثة لـ"حرب غزة". وبحسب صحيفة "هارتس" الاسرائيلية فان نقل الضغط الى حزب الله يظهر ان اسرائيل تخلت عن محاولة اسقاط حماس واستعادة "الرهائن". قالت الصحيفة الاسرائيلية ان نتنياهو عرض خلال مشاورات امنية سبقت التصعيد في لبنان تغييرا في تصوره المتعلق بما يحدث في غزة، بحيث اصبح التصور الذي يطرحه رئيس الوزراء الاسرائيلي الان، وبعد 11 شهرا من التعثر في القطاع الفلسطيني، ان الضغط على حزب الله هو الذي سيؤدي الى تحقيق المكاسب في غزة.

اما "القناة 12" الاسرائيلية فقد نقلت عن مسؤولين امنيين قولهم ان الهدف من ذلك فصل القتال في غزة عن القتال في لبنان، علما ان المقاومة في لبنان كانت تقول منذ 8 تشرين الاول 2023، ان "مساندتها" لغزة ستتوقف ما ان تتوقف اسرائيل عن هجومها على الفلسطينيين في القطاع الفلسطيني المحاصر.

بحسب "القناة 13" الاسرائيلية فان مسؤولين امنيين اسرائيليين صاروا يقولون الان انهم سيفرضون على لبنان بالقوة وقف اطلاق النار مهما كان الثمن بغض النظر عن الوضع في غزة، مضيفين ان الاستراتيجيا الجديدة تتمثل في تغيير ميزان القوى في الشمال وردع المقاومة اللبنانية، واعادة سكان المستوطنات الى مستوطناتهم.

اخطر ما في العدوان الاسرائيلي الجديد على لبنان واللبنانيين، والذي اطلقوا عليه اسم "سهم الشمال"، الى جانب انه قتل اكثر من 500 لبناني خلال اول 24 ساعة فقط، وهي الخسارة البشرية الاكبر في لبنان منذ نهاية الحرب الاهلية، بينما تمثل حصيلة يوم واحد نحو نصف عدد شهداء "عدوان تموز" باكمله في 2006، والذي استمر اكثر من شهر، ان اسرائيل اظهرت استعدادا للذهاب بعيدا في سفك دماء اللبنانيين من دون تمييز بين مقاوم وبين مدني آمن في منزله من اقصى الجنوب وصولا الى شمال البلاد وبقاعها.

الخطورة تتخذ بعدا اضافيا في حقيقة ان اسرائيل تريد ان توحي للعالم ولشعوب المنطقة انها تتصرف كـ"كلب مسعور" مستعد للقتل بمنة ◄

◄ وشمالا، ولهذا تراها تستبيح المنطقة كلها وتشن غارات وتقتل لا في لبنان وغزة والضفة الغربية فقط، وانما في سوريا والعراق واليمن وايران، وهو ما ينذر بأن بمرحلة اكثر سوداوية ما لم يتم لجمها. للتاكيد على النيات المبيتة لنتيناهو في اطالة امد الحرب، بعد ان برزت التقارير حول تبلور مبادرة في نيويورك على هامش اعمال الجمعية العامة للامم المتحدة في 25 ايلول، وذلك برعاية من الولايات المتحدة وفرنسا وتأييد الاتحاد الاوروبي، بالاضافة الى السعودية والامارات وقطر ومصر، واظهار لبنان تأييده المبدئي لوقف اطلاق النار، تزايد التفاؤل الاقليمي والدولي بامكان ايقاف العدوان الاسرائيلي، لكن تبين ان التسريبات الاسرائيلية الاولية حول ان نتنياهو اعطى الضوء الاخضر لدبلوماسييه للتباحث حول الفكرة في نيويورك، وتبين في اليوم التالي، ان رئيس الحكومة الاسرائيلي كان مجددا بماطل. اظهرت تطورات ذلك اليوم محاولة اسرائيلية واضحة لدفن الفكرة قبل ان تولد من خلال عدة مستويات:

1- بينما حدت المقاومة في لبنان في تلك الليلة من مستوى ردودها الصاروخية على الاعتداءات الاسرائيلية، بما فسر على انه محاولة لمنح الديبلوماسية فرصتها ما بين بيروت ونيويورك، فان نتنياهو امر قواته بشن سلسلة كبيرة من الغارات على البقاع وبعض مناطق الجنوب وتنفيذ محاولتي اغتيال في الضاحية الجنوبية وفي الكحالة وغيرها.

2- مواقف اسرائيلية رسمية تتوعد لبنان بغزو بري الى جانب العدوان الجوي.

2- تسريبات اسرائيلية منذ الصباح بأن وزراء حكومة نتنياهو في الاجمال يعارضون التوصل الى هدنة مع لبنان، وتلويح من احزابهم باجتماعات لبحث التداعيات الممكنة لقبول نتنياهو المحتمل لوقف اطلاق النار، بما في ذلك الانسحاب من حكومته.

4- خروج مكتب نتنياهو للاعلان فجأة مع انتصاف النهار بأنه لم يوافق على خطة الهدنة المقترحة.

من الواضح ان الديبلوماسية الاميركية اصيبت بخيبة امل من موقف نتنياهو، وسط تحذيرات متصاعدة من مختلف المسؤولين الاميركيين من ان تصاعد الهجوم الاسرائيلي على لبنان، قد يقود المنطقة الى حرب شاملة، وهو بحسب المسؤولين الاميركيين - والفرنسيين ايضا - لن يؤدي الى عودة نازحي الشمال الى مستوطناتهم، ولا اللبنانيين الى بيوتهم في الجنوب.

ورغم نفي نتنياهو، نقلت صحيفة "تايمز اوف اسرائيل" عن ديبلوماسي غربي قوله ان نتنياهو اخبر الوسطاء عن تأييده وقف اطلاق النار 21 يوما، وان نفي رئيس الوزراء الاسرائيلي هذا، يعكس الامتداد لكيفية تعامله مع محادثات "الاسرى" في غزة، مشيرا بذلك انه كلما كانت تلوح فرصة في الافق للتسوية ووقف الحرب واطلاق الاسرى، كان يقدم على خطوة تعيد خلط الاوراق مجددا بمجزرة او حملة تهجير او اغتيال، تماما مثلما فعل عندما اغتال زعيم حماس اسماعيل هنية اثناء وجوده في طهران والقيادي في المقاومة اللبنانية فؤاد شكر، في لحظة كان الوسطاء من واشنطن والدوحة والقاهرة، على وشك طرح تفاصيل خطة جديدة لوقف اطلاق النار.

ومع تبلور خطة نيويورك حول لبنان والتي دعمتها 12 دولة، بدا ان هناك محاولة اميركية اكثر جدية هذه المرة مقارنة بالحركة الاميركية السابقة، حيث قال وزير الدفاع الاميركي، بعد ظهور محاولة التملص الاسرائيلية من الخطة، وحديث وسائل اعلام اميركية عن مشاعر "صدمة" في ادارة الرئيس جورج بايدن من موقف نتنياهو، "نواجه الان خطر حرب شاملة مدمرة للبنان واسرائيل، والحل الديبلوماسي ما زال ممكنا بينهما".

وبحسب محللين، فان الحراك الديبلوماسي النشط بشكل مفاجئ في نيويورك وبروز الحديث عن الحاجة الى الهدنة، جاء بعد نجاح المقاومة في توجيه ضربة بصاروخ "قادر1-" الذي يحمل رأسا حربيا بقوة 500 كلغ، ومداه يصل الى 190 كلم، على مقر لجهاز الموساد الاسرائيلي في ضواحي تل ابيب رغم التكتم الاسرائيلي الاعتيادي شبه الشامل على ما جرى.

ورغم محاولة اسرائيل تضليل الرأي العام العالمي، بأن عدوانها "سهم الشمال" يستهدف حصرا حزب الله واسلحته، بالترافق مع ادعاءات مثابة بروباغندا يومية مضللة حول تدمير الاف الصواريخ والمنصات، الا ان الاخفاق الاسرائيلي سرعان ما كان ينكشف. فعلى سبيل المثال، ما ان نفذت اكبر اعتداء جوي دموي على لبنان خلال ساعات وقتلت مجموعة من قيادات "قوة الرضوان"، حتى بادرتها المقاومة الى ردود قوية لا تقل اهمية عن ضرب تل ابيب، من خلال هجمات صاروخية عميقة في داخل الكيان، استهدفت مطار مجيدو العسكري مرات عدة، وقاعدة ومطار رامات، وقاعدة عاموس، ومصنع زخرون العسكري...

وكما هو معروف، فقد جاءت هجمات المقاومة هذه بعد الغارات الجوية في 23 ايلول التي وصفتها صحيفة "نيويورك تايمز" الاميركية بانها احدى اكثر الغارات الجوية كثافة في الحروب

المعاصرة، وهو ما يعكس الطبيعة الوحشية للنظام الاسرائيلي بينما يخرج نتنياهو فيما مئات الناس تحت ركام بيوتها، وعشرات الالاف ينزحون في اتجاه بيروت وغيرها من المناطق ليدعي ان هجومه لا يستهدف المدنيين.

لكن الاخطر من كل ذلك ان متحدثا باسم الحكومة الاسرائيلية خرج في ذلك اليوم، وهو يشير الى الهدف المتمثل باعادة نازحي الشمال الى مستوطناتهم قائلا "نعتبر نهر الليطاني حدودنا الشمالية"، في حين يهدد مسؤولون ومحللون خلال نقاشات متلفزة، بضرورة القاء "قنبلة كبيرة" على لبنان، في تلميح الى السلاح النووي الذي تمتلك منه اسرائيل عشرات القنابل، بمباركة غربية.

وزير المال الاسرائيلي بتسلئيل سموتريتش الاكثر تعبيرا عن مزاج اليمين المتطرف في اسرائيل وسياساتها، دعا الى انشاء المشروع الاستيطاني في القرى جنوب الليطاني التي تشكل تهديد على اسرائيل، في وقت نشرت حركة الاستيطان في جنوب لبنان التي يدعمها سموتريتش خارطة تروج لبناء مستوطنات داخل لبنان، وتظهر فيها الاسماء العبرية للمستوطنات المقترحة والمناطق.

حتى حزب العمل الاسرائيلي الذي يعتبر اقل تطرفا من حزب نتنياهو وحلفائه الاخرين، قال من خلال رئيسه يائير غولان الذي كان نائبا لرئيس اركان الجيش الاسرائيلي انه "يجب ان تكون التهدئة على الجبهة اللبنانية لمدة 3 ايام فقط، واذا لم يوافق حزب الله على شروطنا نستأنف القتال، ونسعى الى احتلال التلال اللبنانية التي تطل على اسرائيل". في موازاة ذلك، فان زعيم المعارضة يائير لابيد بدا ايضا مؤيدا للحرب، معتبرا انه على اسرائيل ان تعلن انها تقبل مقترح وقف النار في لبنان وانما لمدة 7 ايام فقط، حتى لا تسمح للحزب باستعادة انظمة القيادة والسيطرة، مضيفا انه لا يقبل اي اقتراح لا يتضمن ابعاد الحزب عما سماه حدودنا الشمالية.

لكن الحديث عن حدود الليطاني واحتلال تلال لبنانية واستيطانه، قد يبدو في اطار الضغوط النفسية على اللبنانيين، لكن ذلك لا يقلل من خطورته. ويدرج البعض ما يقال في اطار المزايدات الاسرائيلية الداخلية مع احتدام الصراع السياسي الداخلي في ظل حكم نتنياهو. ويبدو ان "حرب لبنان الثالثة" كما يسميها العديد من الاسرائيليين الان، وبحسب تقديرات مسؤولين ومحللين اميركيين وحتى اسرائيليين، تستبعد خيار الغزو البري رغم كلام المتحدث العسكري الاسرائيلي عن وجود "خطة عملياتية كاملة".

تدرك اسرائيل بعض الحقائق والتي من بينها ما قاله المحلل الامني والعسكري الاسرائيلي يوسي يهوشواع بأن حزب الله وعد في العام 2006 باستهداف ما بعد بعد حيفا، واليوم هو قادر على ضرب ما بعد بعد تل ابيب، مضيفا ان مدى صواريخ الحزب وجودتها خلال الايام الماضية لا يعكسان قدرات الحزب الكاملة، وهو لم يستخدم سوى 10% من قدراته.

المبالغة الاسرائيلية في الحديث عن نجاحات عسكرية في الحرب على لبنان ليست دقيقة تماما، سوى في نجاحها في قتل المدنيين وبالمئات، وببعض النجاحات في اغتيال بعض قيادات المقاومة، من دون ان يؤثر ذلك على قدرتها على الصمود، بل وضبط النفس، ولم تخرج من جعبتها "الثقيلة" حتى الان سوى صواريخ من طراز "فادي" 1 و2 و3، وصاروخ "قادر1-" لمرة واحدة.

يقول الخبير في الشؤون الامنية والعسكرية الاسرائيلي البارز رونين بيرغمان انه رغم نقل قوات نظامية واحتياطية الى الحدود الشمالية، فانه لا يوجد استعداد فوري للدخول البري الى لبنان، حيث ترى غالبية القيادة العليا ان اسرائيل ارتكبت خطأ مأساويا ومريرا من قبل في 1982 و2006 وعليها أن لا تدخل، فيما يعتبره كثيرون "فخ الموت" الذي يعده حزب الله. اضاف ان الوضع الحالي يشبه الى حد كبير سلوك اسرائيل في بداية حرب 2006 حين اعتقدت ان في امكانها هزيمة الحزب من خلال القوة الجوية من دون غزو بري، وعندما فشلت هذه السياسة اضطرت الى العملية البرية التي لم تحقق ايا من اهدافها.